الصاعقة الخامسة والسبعون: كدعواكَ كلٌّ يدعي صحةَ العقل(*)

كدعواكِ كلٌّ يدعي صحةَ العقلِ ... ومنْ ذا الذي يدري بما فيه من جَهلِ
لهنّكِ أولى لائمٍ بملامةٍ ... وأحوجَ ممنْ تعذلينَ إلى العَذلِ
تقولينَ ما في الناسِ مثلَكِ عاشقٌ ... جدي مثلَ من أحببتُهُ تجدي مثلي
محبٌّ كنى بالبيضِ عن مرهفاته ... وبالحسنِ في أجسامِهنَّ عنِ الصقلِ
وبالسمرِ عن سمرِ القنا غيرَ أنني ... جناها أحبائي وأطرافها رسلي
عدمتُ فؤاداً لم تبتْ فيه فضلةٌ ... لغيرِ الثنايا الغرّ والحدقِ النُّجلِ
فما حرمتْ حسناءُ بالهجرِ غبطةً ... ولا بلّغتْها منْ شكا الهجرَ بالوصلِ
ذريني أنلْ ما لا ينالُ منَ العلى ... فصعبُ العلى في الصعبِ والسهلُ في السهلِ
تريدينَ لقيانَ المعالي رخيصةً ... ولا بدَّ دونَ الشهدِ منْ إبرِ النحلِ
حذرتِ علينا الموتَ والخيلُ تدّعي ... ولمْ تعلمي عنْ أيِّ عاقبةٍ تُجلي
ولستُ غبينًا لو شربتُ منيَّتي ... بإكرامِ دلّيرَ بنِ لشكروز لي
تمرُّ الأنابيبُ الخواطرُ بينَنا ... ونذكرُ إقبالَ الأميرِ فتحلولي(١)
ولو كنتُ أدري أنهَا سببٌ لهُ ... لزادَ سروري بالزيادةِ في القتلِ

(*) مناسبة القصيدة: قالها يمدح أبا الفوارس دليـر بن لشكروز، وكان قد أتى الكوفة لقتال الخارجي الذي نجا بها من بني كلاب، وانصرف الخارجي قبل وصول دليـر إليها.
(١) تمرّ: من المرارة.

فـلا عـدمتْ أرضُ العـراقينِ فـتنةً ... دعـتكَ إليـهـا كـاشفَ البـأسِ والمحلِ

ظللْنا إذا أنبى الحـديدُ نصـالَنا ... نجـردُ ذكـرًا منك أمـضَى منَ النصلِ

ونرمي نواصيها من اسمكَ في الوغى ... بـأنفـذَ من نشـابِنا ومنَ النَّبلِ

فـإنْ تكُ منْ بعـدِ القـتـال أتيـتنَا ... فـقـدْ هزمَ الأعـداءَ ذكـرُك من قَـبلِ

ومـا زلتُ أطوي القلبَ قبلَ اجتماعِنا ... على حـاجـةٍ بين السنابكِ والسُّبلِ

ولـو لم تسـرْ سـرْنا إليك بأنفسٍ ... غـرائبَ يؤثرْنَ الجـيـادَ على الأهلِ

وخـيلٍ إذا مـرّتْ بوحشٍ وروضـةٍ ... أبتْ رعـيَـهـا إلا ومـرجَلُنا يَغلي

ولكنْ رأيتَ القصدَ في الفضلِ شركةً ... فكانَ لك الفضلانِ بالقصدِ والفضلِ

وليسَ الـذي يتَّـبَّعُ الـوبلَ رائدًا ... كـمنْ جـاءَه في دارِه رائدُ الوبلِ

ومـا أنا ممن يدّعي الشـوقَ قلبـهُ ... ويحـتجّ في تركِ الزيارةِ بالشـغلِ

أرادتْ كـلابٌ أن تفـوزَ بدولةٍ ... لمن تركتْ رعي الشُّويهاتِ والإبلِ

أبى ربُّها أن يتـركَ الوحشَ وحـدَها ... وأنْ يؤمن الضبَّ الخبيثَ منَ الأكلِ

وقـادَ لهـا دلّيـرُ كلَّ طمـرةٍ ... تنيفُ بخديْها سحوقٌ من النخلِ[1]

وكلَّ جـوادٍ تلطمُ الأرضَ كـفُّـهُ ... بأغنى عن النَّعلِ الحديدِ منَ النعلِ

فولّتْ تريغُ الغيثَ والغيثَ خلَّفَتْ ... وتطلُبُ ما قدْ كانَ في اليدِ بالرجل

تحـاذرُ هـزلَ المالِ وهيَ ذليلةٌ ... وأشـهـدُ أنَّ الذلَّ شـرٌّ منَ الهُـزلِ

---

(١) الطمرة: الفرس الوثابة. السحوق: النخلة الطويلة.

وأهدتْ إلينا غيرَ قاصدةٍ به ... كريمَ السجايا يسبقُ القولَ بالفعلِ
تتبَّع آثارَ الرزايا بجوده ... تتبعَ آثارِ الأسنةِ بالفُتلِ[1]
شفى كلَّ شاكٍ سيفُهُ ونواله ... من الداءِ حتى الشاكلاتِ منَ الثكلِ
عفيفٌ تروقُ الشمس صورةُ وجهه ... فلو نزلتْ شوقًا لحادَ إلى الظّلِّ
شجاعٌ كأنَّ الحربَ عاشقةٌ لهُ ... إذا زارَها فدتْهُ بالخيلِ والرَّجلِ
وريانُ لا تصدى إلى الخمرِ نفسُه ... وصديانُ لا تروي يداهُ منَ البذلِ
فتمليكُ دلّيرٍ وتعظيمُ قدرهِ ... شهيدٌ بوحدانيةِ اللهِ والعدلِ
وما دامَ دليرٌ يهزّ حسامَهُ ... فلا نابَ في الدنيا لليثٍ ولا شبلِ
وما دامَ دليرٌ يُقلِّبُ كفّهُ ... فلا خلق منْ دعوى المكارم في حِلّ
فتى لا يُرجّى أن تتم طهارةٌ ... لمن لم يطهّرْ راحتيْه من البُخلِ
فلا قَطَعَ الرحمنُ أصلًا أتَى بهِ ... فإني رأيتُ الطّيّبَ الطَّيّبَ الأصْلِ

(١) الفتل: ضماد الجروح.